الدرس الأول:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله أجمعين وعلى سائر عباد الله الطيبين الصالحين أما بعد.

فنبدأ بهذه الرسالة المباركة التي ألفها الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وسماها كشف الشبهات وقد أجاد وأفاد رحمه الله في هذه الرسالة كعادته في رسائله وكتبه فإنه فند شبه المبطلين ودحض أقوالهم وبين زيفها مستنداً في ذلك كله على الكتاب والسنة ومعتصماً بما جاء عن السلف الصالح رحمهم الله، وهذا الكتاب له منزلة عظيمة إذ فيه تفنيد أقوال أعداء الله ورسوله من المشركين والمعاندين لدعوة الرسل ولذا فقد أثنى عليه الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله ثناءً عاطراً في كتابه (الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق) فقال رحمه الله في الثناء على هذا الكتاب وبيان منزلته: " صنف الشيخ رحمه الله كشف الشبهات وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداء الله ورسوله من الشبهات فدحض حججهم وبين تهافتهم وكان كتاباً عظيم النفع على صغر حجمه جليل القدر انقمع به أعداء الله وانتفع به أولياء الله فصار علماً يقتدي به الموحدون وسلسبيلاً يرده المهتدون ومن كوثره يشربون وبه على أعداء الله يصولون" يقول رحمه الله: "فلله ما أنفعه من كتاب وما أوضح حججه من خطاب لكن لمن كان ذا قلب سليم وعقل راجح مستقيم". وهذا الثناء العاطر في محله وسيتبين لنا هذا إن شاء الله تعالى من خلال استعراض ما في هذا الكتاب من شبه وكيف أجاب الشيخ رحمه الله على هذه الشبه وفندها شبهةً شبهة. والكتاب اسمه كشف الشبهات والكشف هو: الإبانة والإزالة والشبهات جمع شبهة والشبهة في اللغة هي: الالتباس والاختلاط وفي الاصطلاح التباس الحق بالباطل واختلاطه حتى لا يتبين وقد عرفه عرف الشبهة ابن القيم رحمه الله في كتابه مفتاح دار السعادة تعريفاً جيداً فقال: " وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق". والشبهات أيها الإخوة أحد نوعي الفتن التي ترد على القلوب فإن القلب مغزوٌ بفتنة الشبهة وبفتنة الشهوة، وفتنة الشبهة أخطر إذ إنها إذا أنشبت أظفارها في قلب العبد قلّ أن ينجو ولذا فإن السلف رحمهم الله كانوا يتباعدون عن الشبه ويحرصون على عدم الجلوس في المجالس التي تورد فيها الشبه بل كان أحدهم لا يسمع من المشبهين المبتدعين أهل الأهواء حتى قول الله وقول الرسول كما ورد ذلك عن ابن سيرين رحمه الله فإنه قد جاءه

رجلان ممن عرفوا بالبدعة والشبهة فجلسا بين يديه يريدان أن يقرأا عليه آية فقال: " إما أن تقوما وإما أن أقوم" فلا حل وسط وذلك أن دينهم عزيز عليهم فكانوا يحرصون على التباعد عن الشبهات إلى هذه الدرجة بل كانوا لا يسمحون لأهل البدع وأهل الشبهات وأهل الأهواء ولا بكلمة واحدة وهذا مستفيض ويمكن الوقوف عليه من خلال مطالعة الكتب التي حفظت أقوال السلف في كتاب السنة للإمام عبدالله بن أحمد والإبانة للعكبري وغيرهما من الكتب. المهم أن السلف رحمهم الله كانوا يحرصون على التباعد عن الشبه وهو منهج قرآني وهو أن الله سبحانه وتعالى قد أمر العباد بأن يبعدوا عن الذين يخوضون في آيات الله فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ ﴾(1) وقال جل ذكره: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾(2). والخوض في الشبهات وإيرادها هو من الخوض في آيات الله ولذلك تدل هذه الآية على ما كان عليه السلف رحمهم الله من تباعد عن الشبهات وحرص على النأي عنها وسبب الشبهة أيها الإخوة أحد أمرين: قلة في العلم أو ضعف في البصيرة فكل شبهة تنشب أظفارها في قلب عبد إنما هي لأجل ضعف في علمه أو ضعف في بصيرته فمن كان على علم راسخ وبصيرة نبوية نجا من الشبهات. ومآل الشبهات أيها الإخوة الكفر أو النفاق أو البدعة أي من أنشبت الشبه أظفارها في قلبه فمآل هذه الشبهة إما أن يقع في الكفر أو أن يقع في البدعة أو أن يقع في النفاق فما كفر من كفر ولا ابتدع من ابتدع ولا نافق من نافق إلا لأجل شبهة في قلبه أوجبت هذا الأمر ولا نجاة للعبد من الشبهات إلا بتجريد المتابعة للنبي ﷺ فإذا اقتفى العبد أمر النبي ﷺ وهديه ظاهراً وباطناً وحكم سنة الرسول ﷺ في دق أمره وجليله وفي ظاهر أمره وباطنه فإنه ينجو من الشبهة وقد تكلم ابن القيم رحمه الله كلاماً جيداً في إغاثة اللهفان في المجلد الثاني في صفحة ستين ومئة (١٦٠) عن فتنة الشبهة وطريق النجاة منها فمراجعته مفيدة.

قال المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه كشف الشبهات:

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده. فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودّاً

---

(١) النساء: ١٤٠.

(٢) الأنعام: ٦٨.

وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله. يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده؛ مثل الملائكة، وعيسى و مريم، وأناس غيرهم من الصالحين.

قال الشيخ رحمه الله: ((**بسم الله الرحمن الرحيم**)) وتقدم لنا أن البسملة متعلقة بفعل مقدر مناسب لحال الذاكر مؤخرٍ غالباً، وذكرنا غالباً لأجل أي شيء؟ لإخراج ما قدم فيه الفعل أو المتعلق قبل البسملة مثل قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[1] فإنه قدم القراءة الفعل على البسملة وذلك لأهمية الأمر وأيضاً في مثل قوله: ﴿**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾[2]. فبين مصدر الرسالة قبل البسملة لأهمية هذا الأمر وإلا فالغالب أن الفعل يكون مؤخراً وفهم هذا يفيدك لأن البسملة ترد في كل كتاب.

قال رحمه الله: ((**اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة**)) افتتح رسالته رحمه الله بتعريف التوحيد فقال: **التوحيد هو إفراد الله بالعبادة** وهذا التعريف هو لأهم أنواع التوحيد فإن أهم أنواع التوحيد هو توحيد الإلهية الذي دعت إليه الرسل وجاءت به الأنبياء فإن الرسل دعت إلى إفراد الله بالعبادة وإن كانت قد دعت إلى توحيد الربوبية واستدلت به وذكرته وأيضاً ذكرت توحيد الأسماء والصفات إلا أن أصل البعثة هو لتقرير عبودية الله سبحانه وتعالى ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[3] فعرّف الشيخ رحمه الله التوحيد بأهم أنواعه وهو توحيد الإلهية والتعريف العام للتوحيد هو: إفراد الله تعالى بما يختص به في الربوبية وفي الإلهية وفي الأسماء والصفات وهذا أشمل ما يقال في تعريف التوحيد أما تعريفه هنا فهو كما ذكرنا بأهم أنواعه ويمكن أن يقال: إن الشيخ رحمه الله اقتصر على تعريف التوحيد بالإلهية يعني بتعريف توحيد الإلهية أو بذكر تعريف توحيد

(١) العلق: ١.

(٢) النمل: ٣٠.

(٣) النحل: ٣٦.

الإلهية لأن الشيخ سيجيب على الشبه الواردة على توحيد الإلهية فهو لم يتكلم على شبه المبتدعة والضالين في باب الأسماء والصفات إنما سيتكلم على شبه الذين ابتدعوا في باب توحيد الإلهية ولذلك عرّف التوحيد بقوله رحمه الله: **هو إفراد الله بالعبادة** والعبادة أيها الإخوة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة وهذا أحد التعاريف التي تعرف بها العبادة وذكر شيخ الإسلام تعريفاً آخر وهو مختصر وجامع فقال: العبادة هي كل ما أمر الله به ورسوله فكل ما أمر الله به ورسوله فهو عبادة والأمر إما أن يكون أمر إيجاب أو أمر استحباب.

ثم قال رحمه الله: **((وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده))** الضمير في قوله: **وهو** المراد به توحيد العبادة. **دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده** فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسل إلى عباده بتوحيد الإلهية بإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ودليل هذا قول الله جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[1] و ﴿لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي ولا إله إلا الله معناها لا معبود بحق إلا الله وهي تقتضي إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وأيضاً قال جل ذكره: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[2] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[3] **قال النبي ﷺ في الحديث الذي في الصحيحين: ((أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد))**[4] ﷺ فهذا يدل على وحدة الرسالة وأن الرسل جاؤوا جميعاً بتقرير توحيد الإلهية وبدعوة الناس إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده دون غيره.

قال الشيخ رحمه الله: **((فأولهم نوح عليه السلام))** أول الرسل نوح ودليل أوليته قول الله سبحانه

(١) الأنبياء: ٢٥.

(٢) النحل: ٢.

(٣) النحل: ٣٦.

(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم ٣١٨٧ وأخرجه مسلم في الفضائل برقم ٤٣٦٢.

وتعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾[1] هذه تشير إلى أن أول من أوحى الله إليه من الرسل هو نوح عليه السلام وأصلح من هذا في الدلالة على أولية رسالة نوح عليه السلام ما في الصحيحين من حديث أنس وغيره في حديث الشفاعة عن النبي ﷺ قال: **يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول: لست هناكم ويذكر ذنبه فيستحي ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض))**[2] وكل هذا صريح بيّن في أن أول الرسل نوح عليه السلام ما الذي جاء به نوح؟ **((أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً))** غلوا فيهم فتجاوزوا بهم الحد الذي جعله الله لهم والغلو أيها الإخوة هو مجاوزة الحد هذا تعريفه اللغوي فكل من جاوز الحد الذي جعل له فقد غلا وأما تعريفه في الاصطلاح فهو مجاوزة أمر الله تعالى في العبادات أو العقائد وقال بعضهم: الزيادة على المشروع في العقائد أو العبادات ومرد الغلو هو الطغيان فمن طغى في شيء أو فمن غلا في شيء فقد طغى وتجاوز وهؤلاء غلوا في الصالحين في ودٍ وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهؤلاء كما قال ابن عباس في الصحيح: أسماء رجال صالحين من قوم نوح لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم أنصاباً فنصبوا هذه الأنصاب و لم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت فهم في أصل فعلهم إنما نصبوا هذه الأنصاب لأجل تذكر هؤلاء والتشوق إلى العبادة والاشتغال بذكر الصالحين الذي يعين على العبودية لله سبحانه وتعالى فتجاوز الأمر شيئاً فشيئاً إلى أن وقعوا في عبادتهم من دون الله سبحانه وتعالى.

ثم قال الشيخ رحمه الله: **((وآخر الرسل محمد ﷺ))** وهذا لا شك فيه فإن النبي ﷺ آخر الرسل قال الله جل ذكره: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[3] فختم الله سبحانه وتعالى النبوات بمحمد ﷺ فلا نبي بعده.

ثم قال رحمه الله: **((وهو الذي كسّر صور هؤلاء))** اسم الإشارة في هؤلاء عائد إلى أي شيء؟ إلى أسماء

---

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير القرآن برقم ٤١١٦ وأخرجه مسلم في الإيمان برقم ٢٨٤.

(٣) الأحزاب: ٤٠.

الرجال الصالحين أصنام الرجال الصالحين الذين غلا بهم قوم نوح وكيف ذلك؟ بيان هذا **ما ذكره البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: ((صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع))**(١) وهذا يدل على أن هذه الأصنام بعثت وأحييت بعد الطوفان فصارت إلى العرب وتعلقوا بها وعبدوها من دون الله بل وزادوا أصناماً كثيرة وأوثاناً كثيرة عبدوها من دون الله فالكعبة كان فيها أكثر من ثلاثمائة صنم كما ذكر أصحاب السير. وقد كسّر النبي ﷺ الأصنام حسيّاً ومعنويّاً أما حسياً فقد باشر هو ﷺ تكسير بعض الأصنام وأما معنويّاً فإن رسالته حطمت الأصنام فإن الجزيرة دانت له ﷺ وقد بعث البعوث لتحطيم الأصنام ولتحطيم ما كان يشرك به العرب من دون الله وبهذا نفهم أن الأنبياء والرسل جاؤوا لتقرير أمرٍ واحد فأولهم نوح دعا إلى التوحيد وآخرهم محمد ﷺ كسر الأصنام وفي هذا بيان وحدة رسالة الرسل وأنهم جاؤوا لتقرير أمرٍ واحد فالذي اعتنى به أولهم هو مضادة الشرك والتحذير منه والذي عمله آخرهم هو تكسير الأصنام وإقامة الدين لله سبحانه وتعالى وحده دون غيره.

ثم قال رحمه الله: **((أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً))** الضمير في **((أرسله))** عائد إلى أي شيء؟ إلى النبي ﷺ إلى **((قوم))** هم قريش **((يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً))** بل ويصلون الرحم ويطعمون المسكين لكن هذه العبادات لم تنفعهم شيئاً ولم تغن عن بعث رسول لأنها كانت مشوبة بالشرك وعدم الإخلاص لله جل وعلا فكانوا يلهجون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك وكانوا يذبحون لغير الله ويستقسمون بغير الله ويلجؤون إلى غيره ويسألون جلب النفع ودفع الضر ورفعه من غير الله تعالى ولذلك كانوا بحاجة إلى أن يبعث إليهم من يقرر التوحيد وبهذا نفهم أن الله سبحانه وتعالى لم يأمر خلقه أو لم يخلق خلقه لمجرد العبادة فقط التي تكون له ولغيره بل خلق الخلق لإفراده بالعبادة قال جل ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢). قال ابن عباس: "كل موضع أمر الله سبحانه وتعالى فيه بالعبادة في القرآن فإن

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير القرآن برقم ٤٥٣٩.

(٢) الذاريات: ٥٦.

المراد به التوحيد" أي ما خلق الله الخلق إلا ليوحدوه جل ذكره وبهذا نفهم أن كثرة العبادة مع عدم الإخلاص لا تغني شيئاً بل صاحبها في النار ولذلك قال ابن القيم رحمه الله: "كثير العبادة التي نزع منها الإخلاص لا تنفع، وقليل العبادة مع الإخلاص والتوحيد تعلي قدر العبد عند الله سبحانه وتعالى وترفعه إلى منازل عليا". فالإخلاص هو الأصل ولذلك لم يأتِ النبي ﷺ لقوم لا يعبدون الله فأمرهم بالعبادة بل أتى إلى قوم يعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً إلا أنهم وقعوا في الشرك فصحح ﷺ التوحيد وأمر بإفراد العبادة لله جل ذكره.

ثم قال الشيخ رحمه الله: **((ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله))** وفسر هذه الوساطة بقوله: **((يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين))** فهؤلاء زعموا أن بين الخلق وبين الله وسائط والوسائط نوعان نوع لابد من إثباته ونوع جاء الشرع بإبطاله ونفيه أما النوع الأول فهم الرسل الذين يبلغون رسالات الله ويدلون على طريق التعبد لله ويبينون للناس معبودهم فهؤلاء لابد منهم ولا تقوم الحياة إلا بهم ولذلك بعث الله سبحانه وتعالى الرسل إلى كل أمة فقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً﴾(1). فكل أمة محتاجة إلى هذا النوع من الوساطة التي يحصل بها تبليغ الدين وتعريف الناس بحق الله سبحانه وتعالى وما يجب له من العبادات وما يجب له من الأسماء والصفات والأفعال وحق هؤلاء الوسطاء أن يطاعوا ويتبعوا ويقتدى بهم هذا حقهم وليس حقهم أن تصرف لهم أنواع العبادة بل حقهم أن يطاعوا وأن يتبعوا وأن يقتدى بهم أما النوع الثاني من أنواع الوسائط فهو الذي ذكره الشيخ رحمه الله هنا في قوله: **((ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون: نريد منهم التقرب))** وبهذا نفهم أن المشركين لم يكونوا يعتقدون في هذه الوسائط إنها تخلق من دون الله ولا أنها تملك من دون الله ولا أنها تدبر من دون الله إنما كانوا يعتقدون أن هذه الواسطة وسيلة يتوصلون بها إلى مقاصدهم يعتذرون يقولون: نحن ليس عندنا أو ليس لنا عند الله جاه وليس لنا عند الله مكانة فنسأل الله بمن له جاه عنده وبمن له مكانة عنده فوقعوا في الشرك وهذا هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ

---

(1) النحل: 36.

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[1] فإنهم اتخذوا هؤلاء الأولياء لأجل أي شيء؟ ليقربوهم إلى الله زلفى وهذا أيها الإخوة هذا الموضوع أو هذه القضية هي البوابة الكبرى التي يدخل منها المشركون في الشرك قديماً وحديثاً فإن القضية التي يعتمد عليها أو السبب الذي يعتمد عليه ويسوغ به كثير من المشركين وكثير من الواقعين في صرف العبادة لغير الله أفعالهم إنما هي قضية الشفاعة والوسيلة ولذلك قطع الله سبحانه وتعالى عليهم الطريق وأغلق دونهم الباب فقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾[2] فأتى إلى الباب الذي يعتمدونه ويلجؤون إليه فالشفاعة التي تعتمدون عليها في تسويغ الشرك لا تنفع إلا بإذنه ويدلك على أن هذا هو أصل الشرك قوله جل ذكره: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3] فجعل اتخاذ هؤلاء شفعاء شركاً ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[4] أي ما كان الناس إلا ملة واحدة وهي التوحيد فاختلفوا وسبب اختلافهم هو هذه الشبهة المذكورة في الآية المتقدمة وهي أنهم قالوا: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فهذا يدلك على أن أصل الشرك الذي وقع بسببه المتقدمون وهو أيضاً وقع بسببه المتأخرون في الشرك هو أنهم لجؤوا إلى غير الله في طلب حوائجهم وزعموا أن هؤلاء شفعاء وأننا لا نصرف إليهم هذه العبادة لأنهم يخلقون ولا لأنهم يملكون ولا لأنهم يدبرون بل لأنهم وسائط وشفعاء.

ثم قال الشيخ رحمه الله: ((ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط)) علة هذه الوسائط أنهم يتخذونهم سبيلاً إلى التقرب إلى الله ويتخذون شفاعتهم سبيلاً إلى تحقيق مطالبهم.

ثم مثل لهذه الوسائط فقال: ((مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين)) والمشركون

---

(١) الزمر: ٣.

(٢) سبأ: ٢٢.

(٣) يونس: ١٨.

(٤) يونس: ١٩.

كما سيتبين لنا من خلال كلام الشيخ رحمه الله لم يكونوا مقتصرين في عباداتهم على الملائكة والصالحين بل عبدوا أيضاً الأحجار والأشجار وغيرها وإنما يبدو لي والعلم عند الله أضرب الشيخ عن ذكر هذا لأنه إذا كانت عبادة هؤلاء من دون الله لا تصح عبادة الملائكة وعبادة عيسى ومريم وغيرهم من الصالحين لا تنفع فانتفاء النفع في عبادة غيرهم من الجمادات من باب أولى.